

التحرير والتنوير

والابتداء بالنهي عن الإشراك لأن إصلاح الاعتقاد هو مفتاح باب الإصلاح في العاجل والفلاح في الآجل .

[illegible]

و (من) تعليلية وأصلها الابتدائية فجعل المعلول كأنه مبتدئ من علته .
والإملاق : الفقر وكونه علة لقتل الأولاد يقع على وجهين : أن يكون حاصلًا بالفعل وهو المراد هنا وهو الذي تقتضيه (من) التعليلية وأن يكون متوقع الحصول كما قال تعالى في آية سورة الإسراء : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) لأنهم كانوا يئدون بناتهم إما للعجز عن القيام بهن وإما لتوقع ذلك . قال إسحاق بن خلف : وهو إسلامي قديم : .
إذا تذكرت بنتي حين تندبني ... فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم .

أحاذر الفقر يوما أن يلم بها ... فيكشف الستر عن لحم على وضم وقد تقدم عند قوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) في هذه السورة .

وجملة : (نحن نرزقكم وإياهم) معترضة مستأنفة علة للنهي عن قتلهم إبطالا لمعذرتهم :

لأن الفقر قد جعلوه عذرا لقتل الأولاد ومع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعيا لقتل النفس فقد بين الله أنه لما خلق الأولاد فقد قدر رزقهم فمن حماقة أن يظن الأب أن عجزه عن رزقهم يخوله قتلهم وكان الأجدر به أن يكتسب لهم .

وعدل عن طريق الغيبة الذي جرى عليه الكلام من قوله : (ما حرم ربكم) إلى طريق التكلم بضمير : (نرزقكم) تذكيرا بالذي أمر بهذا القول كله حتى كأن الله أقحم كلامه بنفسه في أثناء كلام رسوله الذي أمره به فكلم الناس بنفسه وتأكيدا لتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم .

وذكر الله رزقهم مع رزق آبائهم وقدم رزق الآباء للإشارة إلى أنه كما رزق الآباء فلم يموتوا جوعا كذلك يرزق الأبناء على أن الفقر إنما اعتري الآباء فلم يقتل لأجله الأبناء .
وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي . هنا لإفادة الاختصاص : أي نحن نرزقكم وإياهم لا أنتم ترزقون أنفسكم ولا ترزقون أبناءكم وقد بينت آنفا أن قبائل كثيرة كانت تئذ البنات فلذلك حذروا في هذه الآية .

وجملة : (ولا تقربوا الفواحش ما طهر منها وما بطن) عطف على ما قبله . وقد نهى عن اقتراف الآثام وقد نهى عن القريب منها وهو أبلغ في التحذير من النهي عن ملاستها : لأن القرب من الشيء مظنة الوقوع فيه ولما لم يكن للإثم قرب وبعد كان القرب مرادا به الكناية عن ملاسة الإثم أقل ملاسة لأنه من المتعارف أن يقال ذلك في الأمور المستقرة في المكنة إذا قيل لا تقرب منها فهم النهي عن القرب منها ليكون النهي عن ملاستها بالأحرى فلما تعذر المعنى المطابق هنا تعينت إرادة المعنى الالتزامي بأبلغ وجه .

والفواحش : الآثام الكبيرة وهي المشتملة على مفاصد وتقدم بيانها عند قوله تعالى (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء) في سورة البقرة .

و (ما طهر منها) ما يظهره ولا يستخفون به . مثل الغضب والقذف . (وما بطن) ما يستخفون به وأكثره الزنا والسرقة وكانا فاشيين في العرب .